القواعـــــد الأخلاقيـــــــــة فـــي
ســـــورة لقمـــــــان

م.د. مـــــروة جاســـــم محمـــــــد
الجامعـــة العراقيـــة كليـــة التربيـــة للبنـــــات

The Moral Rules in Surah Luqman

Dr. Marwa Jasim Mohammed
البريد الالكتروني: marwajasim١٩٨٨ gmail.com

Abstract:
This paper discusses the importance of ethics in Islam and their role in building a strong Muslim society. Ethics have a great place in Islam, It has an essential impact on building the Muslim community, as it is the basis for the establishment of his civilization and his strength, and Islam came to consolidate the foundations of this rule, as was mentioned in the honorable hadith of the Prophet Muhammad (peace be upon him) "I was sent to uphold and complement ethical values", this is done by reforming the relationship of individuals with each other by setting rules and controls to preserve society from collapse and disintegration and to perpetuate love and tolerance among its members. The research aims to explore the rules and controls mentioned in Surat Luqman and their impact on building Muslim society. This research came in an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter dealt with the definition of morals linguistically and idiomatically, the definition of Surat Luqman, and the reasons for the revelation of some of its verses. The second chapter included an explanation of the moral rules mentioned in the chapter and a statement of their impact on building the Muslim community. The conclusion included the most important findings from search results. Keywords: Ethics, tolerance, love, honor, ethics, Luqman, and Islam

الخلاصة:

تناقش هذه الورقة أهمية الأخلاق في الإسلام ودورها في بناء مجتمع مسلم قوي. للأخلاق مكانة عظيمة في الإسلام ، ولها أثر جوهري في بناء المجتمع المسلم ، فهي أساس قيام حضارته وقوتها ، وجاء الإسلام لترسيخ أسس هذه القاعدة ، كما ورد في الحديث الشريف للنبي محمد (ﷺ) "انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" ، ويتم ذلك من خلال إصلاح علاقة الأفراد ببعضهم البعض من خلال وضع القواعد والضوابط للحفاظ على المجتمع من الانهيار والتفكك و ترسيخ المحبة والتسامح بين أعضائه. يهدف البحث إلى استكشاف القواعد والضوابط الواردة في سورة لقمان وأثرها في بناء المجتمع الإسلامي. جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة. تناول المبحث الأول تعريف الأخلاق لغويا واصطلاحا ، وتعريف سورة لقمان ، وأسباب نزول بعض آياتها. وتضمن المبحث الثاني شرحاً للقواعد الأخلاقية الواردة في الباب وبيان أثرها في بناء المجتمع المسلم. وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها نتائج البحث. الكلمات المفتاحية: الأخلاق ، التسامح ، الحب ، الشرف ، الأخلاق ، لقمان ، والإسلام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي جاء بالنور والهدى، وعلى آله وصحبه الاخيار ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد: ان للاخلاق مكانة عظيمة في الإسلام، ولها اثر مهم في بناء المجتمع المسلم فهي أساس قيام حضارته وقوته وقد جاء الإسلام ليرسخ أصول هذه القاعدة فقد ورد في الحديث الشريف عن النبي محمد (ﷺ): "انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"، وذلك من خلال اصلاح علاقة الافراد مع بعضهم بوضع قواعد وضوابط لحفظ المجتمع من الانهيار والانحلال ولدوام المحبة والتسامح بين افراده. ويهدف البحث الى اظهار هذه القواعد والضوابط التي ذكرت في سورة لقمان وبيان أثرها في بناء المجتمع المسلم. وجاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكان المبحث الأول في تعريف الاخلاق لغة واصطلاحا، والتعريف بسورة لقمان وأسباب نزول بعض من آياتها أما المبحث الثاني فتضمن شرح القواعد الأخلاقية المذكورة في السورة وبيان أثرها في بناء المجتمع المسلم، أما الخاتمة فقد تضمنت اهم ما توصل اليه البحث من نتائج. وبعد، فلا بدَّ لي من القول: إنَّ عملي هذا من جهد البشر الذي يعتريه الخطأ والنقصان، فإنْ أصبتُ فيه فهو من الله، له المنّة والفضل في الدنيا والآخرة، وإنْ أخطأت فمن نفسي ولكن حسبي أنني بذلت جهدًا لخدمة كتابه العزيز فعسى أن يتقبله منّي خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: التعريف بالأخلاق وبسورة لقمان

المطلب الاول: تعريف الاخلاق لغة واصطلاحا

الاخلاق لغة : قال الراغب الاصفهاني: "الخَلْقُ والخُلْق في الاصل واحد لكن خص الخَلق بالهيئات والصور وخص الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[١].وقال ابن منظور: الخُلُق جمع اخلاق والخُلْق السجية يقال خالق المؤمن وخالق الفاجر، والخلق: الدين والطبع والسجية، وحقيقته: انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه وأوصافه ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة[٢].الاخلاق اصطلاحا: عرف ابن القيم الخلق بقوله: "هيئة مركبة من علوم صادقة وارادات زاكية واعمال ظاهرة وباطنة، واقوال مطابقة للحق"[٣].وعرفه ابن مسكويه بأنه:

"عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية "[٤] ، فإن كان الصادر من الافعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا وإن كانت صادرة افعال قبيحة سميت خلقا سيئا فالأخلاق مفهوم يبحث في الاحسان والخير وبالتقرب الى الله، كما يبحث في الشر والقبيح والابتعاد عنه، ومن هنا تدخل العملية الاخلاقية في جميع العلاقات الانسانية، والانسان الخلوق هو الانسان الخير في حياته الظاهرة والباطنة الخاصة والعامة لنفسه ولغيره على حد سواء. والتعريف المختار للأخلاق انها: عبارة عن هيئة مركبة تشمل الاقوال والافعال والاعمال الظاهرة والباطنة الصادرة عن الانسان من غير الحاجة الى فكر وروية، المطابقة للحق في جميع علاقاته الانسانية والتي تحثنا على التحلي بالفضائل وترك الرذائل.

المطلب الثاني: التعريف بسورة لقمان

هذه السورة الكريمة (سورة لقمان) من السور المكية التي تعالج موضوع العقيدة في النفوس، وتركز على قصة لقمان الحكيم مع ابنه، ولهذا سميت بهذا الاسم، وبهذا الاسم عرفت بين القراء والمفسرين، لاشتمالها على قصة لقمان الحكيم، والتي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله وصفاته، وذم الشرك والأمر بمكارم الأحلاق والنهي عن القبائح والمنكرات. وسنبين في هذا المطلب تسمية السورة وترتيبها واسباب نزولها، والزمن الذي نزلت فيه السورة، والموضوعات التي اشتملت عليها، وذلك عبر النقاط الآتية:

أولًا: تسمية السورة وترتيبها وعدد آياتها: سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان؛ لأن فيها ذكرا للقمان وحكمته وجملا من حكمه التي أدب بها ابنه وليس لها اسم غير هذا الاسم، وبهذا عرفت بين القراء والمفسرين[٥].ولاشتمالها على قصته التي تضمنت فضيلة الحكمة، وسر معرفة الله تعالى وصفاته ، وذم الشرك، والامر بالأخلاق الحميدة والنهي عن الأخلاق الذميمة وهي من اعظم مقاصد القران[٦].وهذه السورة هي السابعة والخمسون في تعداد نزول السور في المصحف نزلت بعد سورة الصافات، وقبل سورة سبأ، أما عدد كلماتها وحروفها هي: خمسمائة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف. وأما ترتيبها في المصحف فهي إحدى وثلاثون في ترتيب السور جاءت بين سورة الروم وسورة السجدة. وأما عدد آياتها فهي ثلاثًا وثلاثون في العدِّ المكي والمدني، وأربعًا وثلاثون في عدِّ الباقين ، اختلافها (الم) عدها الكوفي ولم يعدها الباقون[٧].وقال ابن عاشور هي مكية كلها عند ابن عباس، وعليه اطلاق جمهور المفسرين، وعن ابن عباس من رواية النحاس استثناء ثلاث آيات من قوله تعالى: تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ الى قوله تعالى: ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ وعن قتادة إلا آيتين إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.وذكر ابن عاشور القول بأنها مكية في قوله: "وفي «تفسير الكواشي» حكاية قول إنها مكية عدا آية نزلت بالمدينة وهي﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قائلا "لأن الصلاة والزكاة فرضت بالمدينة. ورده البيضاوي على تسليم ذلك بأن فرضها بالمدينة لا ينافي تشريعها بمكة على غير إيجاب. والمحققون يمنعون أن تكون الصلاة والزكاة فرضتا بالمدينة فأما الصلاة فلا ريب في أنها فرضت على الجملة بمكة، وأما الزكاة ففرضت بمكة دون تعيين أنصباء ومقادير، ثم عينت الأنصباء والمقادير بالمدينة"[٨].

الثاني : سبب نزول سورة لقمان.بعض الايات من سورة لقمان ورد أن لها أسباب نزول، ومن هذه الايات: قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ "قال الكلبي ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث، وذلك أنه كان يخرج تاجرا إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشا ويقول لهم: إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن. فنزلت فيه هذه الآية"[٩]. وقال مجاهد: نزلت في شراء القيان والمغنيات[١٠].وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾وجاء في صحيح البخاري[١١] عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[١٢] وشق ذلك على المسلمين ، فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال ليس كما تقولون ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ الشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾." قال المفسرون: سألت اليهود رسول الله (ﷺ) عن الروح، فأنزل الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١٣] فلما هاجر رسول الله(ﷺ) إلى المدينة. أتاه أحبار اليهود فقالوا: يا محمد بلغنا عنك أنك تقول: وما أوتيتم من العلم إلا قليلا أفتعنينا أم قومك؟ فقال: "كلا قد عنيت"، قالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة، وفيها علم كل شيء؟ فقال رسول الله (ﷺ):

"هي في علم الله سبحانه قليل، وقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم به". فقالوا: يا محمد، كيف تزعم هذا وأنت تقول: ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا: علم قليل وخير كثير؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ الآية"[١٤].قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾. "نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة، من أهل البادية، أتى النبي (ﷺ) فسأله عن الساعة ووقتها، وقال: إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد؟ وقد علمت بأي أرض ولدت، فبأي أرض أموت؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٥].

الثالث: زمن نزول السورة والجو الذي نزلت فيه.هذه السورة مكية نزلت بمكة إلا ثلاث آيات، وأخذت تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، وهذه القضية تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر الله على آلائه، وبيان قدرته وعظمته تظهر ظهورا جليا في سورة لقمان ووصاياه لابنه، وكان المسلمون في بداية دعوتهم أقلاء وضعفاء، وكان المشركون يعرضون عن القرآن وعن السبيل الحق ويميلون للهو والغناء واخبار الاعاجم[١٦].

الرابع: الموضوعات التي اشتملت عليها السورة.سورة لقمان من السور المكية لذلك نجدها تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين وتؤكد على ضرورة ترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس، وهذه القضية تتلخص في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكره، وفي اليقين بالآخرة، وفي اتباع ما أنزل الله وهذا موضوع السورة الرئيسي الذي تنبثق منه عدة مقاصد وأهداف منها:

- الحديث عن أدلة وحدانية الله وقدرته العظيمة في خلق السماوات والأرض.
- التفكر في الكون وما فيه من دلائل ومعجزات دالة على قدرة الله تعالى.
- بيان نعم الله على العباد في الارشاد والهداية الى الطريق المستقيم.
- بيان مفاتيح الغيب وأن الله محيط علمه بالكائنات جميعها .
- الامر بالتقوى والخوف من عذاب الله ومن يوم القيامة الذي لا بد من إتيانه، ولا أمل فيه بنصرة أحد وعدم الاغترار بمتاع الدنيا وزخرفها .
- الحث على العمل الصالح وتجنب الخطايا والذنوب، وكذلك الدعوة للتوبة والاستغفار واثر ذلك في حياته.
- قصة لقمان الحكيم وما فيها من دروس وعبر في أسلوب الدعوة الى الله.

المبحث الثاني: من القواعد الاخلاقية في سورة لقمان

المطلب الاول: شكر نعم الله وآثاره في بناء القواعد الاخلاقية

الشكر فضيلة من أعظم الفضائل التي لا يتصف بها إلّا أولئك المؤمنون القانعون الراضون، الذين يعرفون ربهم حق المعرفة، فشكروه على ما أنعم عليهم من النعم ووهبهم من العطايا إكراما لهم على شكره، وهو من عناصر الحكمة والامور المترتبة عليها، ذلك أن الآية الكريمة في قوله تعالى: (أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ) عبرت بـ "أن" التفسيرية. وعرّف الاصفهاني الشكر بأنه: "تصور النعمة وإظهارها، وضده الكفر وهو: نسيان النعمة وسترها ، ويذكر الاصفهاني ان للشكر ثلاثة أضرب: شكر القلب وهو تصور النعمة ، وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجروح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه"[١٧] . وعرفه ابن منظور: بأنه "عرفان الاحسان ونشره" [١٨]. فالشكر شكر بالقلب واللسان والجوارح لانه عرفان الاحسان وذكره وبالشكر تنمو وتزداد النعم. وذكرت الاية في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [١٩] ان من أنواع الشكر الشكر على النعمة ويلاحظ في الاية الكريمة أنها جاءت بعدة اساليب ولها دلالات بيانية، ومن هذه الأساليب: جيء بصيغة حصر نفع الشكر في الثبوت للشاكر ﴿ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ أي ما يشكر إلا لفائدة نفسه، ولام التعليل مؤذنة بالفائدة.

- وجيء الفعل (يشكر) بصيغة المضارع للإيماء إلى جدارة الشك بالتجديد.
- اسلوب الشرط : فإنه أدل من الإخبار ؛ لأن آثار شكر الله كمالات حاصلة للشاكر ولا تنفع المشكور شيئا ؛ لغناه سبحانه وتعالى عن شكر الشاكرين ، ولذلك جيء به على صورة الشرط لتحقيق العلاقة بين مضمون الشرط والجزاء ؛ لأن الشرط أدل على ذلك من الإخبار.
- وذكر صيغة الجزاء مطابقة لصيغة شرطها ؛ ليتجدد الجزاء كلما تجدد الشرط، ودلالة إظهار الشكر بدل الإضمار لأهميته وللعناية به وأنه ينبغي أن يكرر ثم ليكون الثاني نتيجة وثمرة له.

- وفي الآية توجيه إلى قيمة عليا وفضيلة أسمى، وهي الشكر لله أولا ثم للآخرين فالاول اعتراف لما ينبغي أن يقوم بين العبد وربه؛ ومن صلة تتمثل في شكر العبد المنصف بالديمومة ، ومن ثم بين البشر لما تقوم به حياتهم على المودة والاعتراف بالجميل.
- ولابد من الإشارة هنا الى ان شكر العبد لربه يقوم على حاجة العبد على الدوام وانتفاء الحاجة عن الله بالكلية؛ لان الله تعالى مستغن بذاته عن الشكر والحمد من غيره، بينما شكر البشر لبعضهم يقوم على الحاجة المتبادلة.

المطلب الثاني: توحيد الله تعالى وأثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

ما من نبي ولا رسول إلا وجاء بدعوة التوحيد وهذا واجب الأنبياء جميعا عليهم السلام لأن التوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا والقرآن يأمر الناس كافة بالتوحيد الخالص لله تعالى ولا شريك له ومتى كان هذا القرار بالتوحيد لله رب العالمين الذي هو حق لله على العباد وصدقا في القلب يكون الانسان قد خطى الخطوة الأولى في سلوك الطريق القويم ويحضى برضوان الله وتوفيقه. وفي هذا المطلب سأذكر الوصية الأولى من وصاية لقمان لابنه وهو يعظه بعدم الشرك بالله، وأنواع الشرك وآثار التوحيد في المجتمع المسلم وذلك عبر النقاط الاتية:

أولًا: الوصية الأولى من وصايا لقمان لابنه وصية التوحيد إن لقمان الحكيم يقوم بواجب الأب تجاه الإبن فقد أوجب الإسلام على الآباء نصح الأبناء ووعظهم، ويتمثل هذا المطلب من خلال سورة لقمان في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ وكانت هذه الوصية الأولى من وصايا لقمان لإبنه وبالنظر في هذه الآية الكريمة نرى إنها أوضحت كمال النظم القرآني وأكدت حسن التناسب والتلاؤم الذي هو وجه من وجوه الإعجاز القرآني. فبعد أن وصفت الآية السابقة لقمان بالحكمة، والحكيم لا تعرف حكمته إلا بأقواله وأفعاله عطفه هنا بوصيته لابنه التي تحمل صورة من صور الحكمة ومفرداتها[٢٠].وافتتحت الآية الكريمة بموعظة بليغة حملت أعظم قضية وأخطرها إنها عقيدة التوحيد عقيدة الرسل والانبياء ورسالتهم إلى أقوامهم فما جاء رسول إلا وأمر قومه بالتوحيد .لذا نلاحظ أن لقمان أول ما بدأ به لتأسيس ابنه هو غرس عقيدة التوحيد في قلبه؛ لأن التوحيد أصل ثابت ويحميه من عوامل الضعف والقلق النفسي ويبعث في القلوب الطمأنينة والاستقرار والشعور بالإيجابية الفاعلة في الحياة بكل عز وأباء[٢١].وقد سلك القرآن الكريم أسلوبا فريدا لتثبيت هذه العقيدة في النفس البشرية، مختارا ألفاظا ونظما مؤثرة، بغية الاستجابة وسرعة الامتثال وما أبلغ هذه الحكمة حين ترد في لفظة الموعظة التي تحمل في طياتها معاني الخير فيما يرق له القلب وهو أرقى أنواع الخطاب إذا خاطب بها الأنبياء كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [٢٢].ومقتضاها الإخلاص في التوجه والصدق في النية والإشفاق والتلطف بالقول كيف لا وهو ابنه ، يقول سيد قطب: "وإنها لعظة غير متهمة فما يريد الوالد لولده إلا الخير، وما يكون الوالد لولده إلا ناصحا بل يوصي الاب ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف"[٢٣].ويلحظ ان كلمة الوعظ جاءت بصيغة الفعل المضارع؛ للدلالة على تجدد الوعظ وتكرره وأما ما يتعلق بتفصيلات ابن لقمان فلم يصرح القرآن بشيء منها فلا يعرف إسمه ولا عمره ولا تعرف عقيدته بغض النظر عن ما ذكر بعض المفسرين مما ليس عليه دليل صريح وبالإضافة إلى ذلك كان أسلوب النداء الذي استعمله لقمان (يا بني) هو تصغير (إبن) لتنزيل المخاطب الكبير منزلة صغير لما فيها من دلالة الشفقة والتحبب له، وخاطبه بلفظ البنوة لعلاقة الأبوة، وقد جمع لقمان بهذه الموعظة أصول الشريعة وهي الاعتقاد في الأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس[٢٤] واختلف في قوله ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ فقيل: إنه كلام لقمان، وقيل: هو خبر من الله تعالى منقطع من كلام لقمان متصلا به في تأكيد المعنى[٢٥].وهذه الاية السابقة تعليلية للنهي المتقدم حيث حملت في طياتها جملة من المفاهيم والقيم تتمثل فيما يلي:

أولا: التقرير بعد النهي أو خبر بعد أنشاء، فبدأ بالطلب وهو النهي وثنى بالخبر وهو تقرير لبيان دواعيه ومسوغاته فجاء بالقضية و برهانها ثم كان النهي فيما اقتضاه المقام خاص بالمخاطب بينما جاء التقرير عاما اتصف بأنه قاعدة ثابتة وسنة مقررة لا تتخلف.

ثانيا: التصدير بحرف التوكيد (إن) ليحمل هذا التقرير من قوة مضمونه وتوكيد مصداقيته ما يقتضي طرحه والبراءة منها بالكلية.

ثالثا: أن أظهر الشرك بدل الاضمار للتنبيه على شدة قبحه وبشاعة صورته مما ينبغي تنزه الخواطر عنه.

رابعا: الشرك ظلم واعتباره ظلما مع دخول اللام المزحلقة المؤكدة لمضمون الخبر فيه أمور منها:

- اعتداء على حق الله تعالى وهو المتصف بصفات الوحدانية و المنزه عن الشرك.
- انتقاص من حق النفس واعتراض على فطرتها.

- تعظيم هذا الظلم وتنوع مفرداته وتعدد مظاهره بتنكيره وتنوينه أولا ثم بوصفه (عظيم) ثانيا، وقد أكد هذا رسول الله (ﷺ) في الحديث الصحيح الذي اخرجه البخاري ومسلم بقوله:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا قالوا: بلا يا رسول الله، قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا فقال ألا وقول الزور قال فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[٢٦].وذكر ابن عطية في تفسيره: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾من كلام لقمان ويحتمل أن يكون خبرا من الله تعالى منقطع من كلام لقمان متصلا به في تأكيد المعنى"[٢٧].

- ثانيا: آثر التوحيد في قلوب المسمين وثمراته

إن أول وصية وصى بها لقمان ابنه هي أغلى وأعظم وصية وهي التوحيد وعدم الشرك بالله لأنه يريد من ولده أن يعيش حياته وهو يوحد الله تعالى حتى يستقيم طريقه وتصفو عقيدته وللتوحيد آثاره الطيبة منها:

- إن التوحيد هو رأس الأمر ولبابه ومتى صحت عقيدة المسلم تحرر من العبودية لغير الله.
- يتحرر المسلم من الخرافات والطواغيت ويشعر بالأمان والاستقرار النفسي.
- يزداد المسلم قربا من الله وطمأنينة ويعيش في كنف الله ورحمته في الدنيا والآخرة.
- توحيد العبد لله وإيمانه بعقيدة التوحيد بقلبه ولسانه وجوارحه عند الموت أوجب الله له المغفرة ودخول الجنة لقوله (ﷺ) "أتاني آت من ربي فأخبرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة"[٢٨].
- التوحيد هو أفضل الأعمال فمن قالها بيقين وإخلاص وعمل بمقتضاها ولوازمها استقام، فهذه حسنة له في الدنيا والآخرة لا يوازيها شيء.
- للتوحيد قيمة أخلاقية وتربوية عظيمة فإن العبد اذا عرف ربه معرفة صحيحة واضحة لا شبهة فيها فانها تعينه على التحلي بالأعمال الفاضلة والصفات الحميدة التي تكسبه مرضاة ربه في الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

إن للوالدين مكانة عظيمة عند الله لذلك جاءت الوصية بهما بعد الوصية في عدم الإشراك بالله تعالى، فالوالدان يضحيان بحياتهما من أجل الأولاد ومن أجل هذا فإن بر الوالدين لون من ألوان العبادة والسلوك الحميد، وفي هذا المطلب سأذكر أهمية بر الوالدين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية للمجتمع المسلم.وتشمل هذه الوصية الثانية من وصايا لقمان قوله تعالى:﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ والوصية لغة كما عرفها أبن فارس: الواو والصاد والحرف المعتل أصل يدل على وصل الشيء بشيء ووصيت الشيء وصلته ويقال أرضا واصية نبتها قد امتلأت فيه[٢٩].والوصية هي كما عرفها الراغب الاصفهاني : هي التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ ويقال اوصاه ووصاه ، وتواصى القوم اذا أوصى بعضهم بعضا[٣٠].ولفظ الإنسان دال بعمومه على شمول كل ما هو أهل للخطاب من بني البشر ويدخل فيه المؤمن دخولا أوليا ثم إن البر بالوالدين من القيم الضابطة في الحياة الإنسانية الحافظة لبقائها وديمومتها في إطار المودة والانسجام. وإثار لفظ بوالديه على أبويه للتنبيه على المعاناة التي يتحملها الوالدين والمكابدة في التربية وإنهما يتمنيانه و يطلبانه حتى مع المشقة والتضحية والمجاهدة، وما أروع هذا التعبير الذي يصف التعب والعناء من قبل الأم في قوله تعالى: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴾ وحذف مدار الوصية ها هنا أبلغ ويؤكده ما تقدم من الكلام ثم ليكون عاما تذهب فيه النفس كل مذهب لاحد له ولا مقدار[٣١].وتخصيص الأم في هذه الاية لحكم بليغة أهمها:

أولا: إنها تتحمل النصيب الأوفر وتجود به في انعطاف أشد وأحنى وأرفق.

ثانيا: إنها هي الأضعف ومن ثم فهي بحاجة إلى الرفق والإشفاق والعناية والرعاية والطاعة والبر، وقوله: (وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ) أي كلما عظم في بطنها زادها ضعفا على ضعف وقيل: "ضعفا متتابعا ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس"[٣٢].

ثالثا: ما ورد عن رسول الله (ﷺ) حين سأله الصحابي من احق الناس بحسن الصحبة : "جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ) فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من؟ قال: ثم أمك قال: ثم من؟ قال: أمك، قال : ثم من؟ قال: ثم أبوك"[٣٣].قال القرطبي: "لما خص الله تعالى الأم بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث مراتب وللأب واحدة"[٣٤].

رابعا: (وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ) جملة معترضة تعليلية لتوكيد الوصية؛ لأن تعليل الحكم يفيد توكيده[٣٥].

خامسا: (أن اشكر لي) وأن في موضع النصب، والمعنى ووصينا الإنسان بوالديه ان اشكر لي، والأجود أن تكون (أن) مفسرة والمعنى: قلنا له أن اشكر لي ولوالديك فالشكر لله على نعمة الإيمان وللوالدين على نعمة التربية[٣٦].وبعد كل ما تقدم كان تخصيص الأم بالذكر أبلغ، وفي

ضوء ما تبين فلو ضحى الإنسان في كل ما يملك وقدم لها كل ما بوسعه أن يقدم ما وفاها حقها وتختم الآية الكريمة بأجمل ترتيب ويتمثل في شكر الله أولا فهو المنعم المتفضل بالخلق والإيجاد والإبداع ثم الشكر للوالدين لأنهما كانا سبب في الإيجاد، والولد سعيهما وثمرة غراسهما. أهمية بر الوالدين أمرنا الإسلام ببر الوالدين والإحسان إليهما وطاعتهما واحترامهما وقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة المطهرة تبين فضل برهما والإحسان إليهما . وقد أعلى الإسلام منزلة بر الوالدين وبين فضله ويظهر ذلك فيما يأتي: الإشادة به حتى جعل التوفيق له من أكبر النعم التي أمتن الله بها على خاصة خلقه من الأنبياء فقال عن يحيى (عليه السلام﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾[٣٧]، وقال في عيسى (عليه السلام) ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [٣٨] وجاء الأمر ببر الوالدين بعد الأمر بتوحيد الله سبحانه كما مرة في سورة لقمان في وصيته لابنه بعد نهيه عن الشرك بالله، وقد وضع الله تعالى بين الوصية الأولى والثالثة الوصية بالوالدين وهذا يدل على أن الوصية بهما من الله لا من لقمان. ويعلق أبو السعود بقوله" (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) تعليل النهي أو للإنتهاء عن الشرك (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ) كلام المستأنف اعترض به على منهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك"[٣٩].وقال أبو حيان: "(إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) هو من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متصل به في تأكيد المعنى (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ) لما بين لقمان لابنه إن الشرك ظلم ونهاه عنه كان ذلك حثا على طاعة الله، ثم بين أن الطاعة تكون للأبوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه، أخبر الله عنه بذلك وقيل هو من كلام الله قال لقمان أي وقلنا له: أشكر وقلنا له ووصينا، وقيل في هذه الآية اعتراض بين أثناء وصية لقمان وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد لوالده وامتثال أمره في طاعة الله تعالى"[٤٠].آثر بر الوالدين ان بر الوالدين هو بمثابة الشكر لهما على ما بذلاه من تعب ومشقة في تربية الأولاد ورعايتهما ولين القول لهما والإحسان لهما والدعاء لهما بعد موتهما وطاعتهما في غير معصية، ولبر الوالدين أثار دينية ودنيوية منها:

- إنه لشرف للإنسان أن يطيع وصايا الله بإظهار الاحترام لوالديه ، وهذا يكمل وصف طاعة الله.
- تحبه وتصفه بيحيى وعيسى عليهم السلام وغيرهم من الأنبياء الذين يكرمون والديهم.
- ينعم بالانسجام مع عائلته ويتبادل التقدير والرحمة بينه وبين والديه.
- سيرته العطرة بين الناس وتقديرهم له ومنها ما ورد في قصة اويس القرني الذي كان مستجاب الدعوة كما رواه الإمام مسلم في صحيحه.
- النجاة من الضيق واستجابة الدعاء ويجازى بالمثل مع اولاده.
- الكفارة عن الخطايا ومفاتيح دخول الجنة ورفع للدرجات عند الله تعالى.

وهكذا فإن المجتمع الذي يتفوق أعضاؤه في العدالة الأبوية سيكون مجتمعًا قانعًا ومزدهرًا وقويًا تسوده البركات والرحمة وتتجلى آثار العدالة.

المطلب الرابع: اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

إن اتباع سبيل الصالحين ونهجهم والاقتداء بهم يغرس الأخلاق الرفيعة في النفس ويعين على الطاعة والعبادة لذلك فإن لقمان الحكيم يوصي ابنه باتباع سبيلهم لأن الصاحب الصالح كحامل المسك إما أن تبتاع منه وإما ان يحذيك، وفي هذا المطلب سنتكلم على الحث على اتباع سبيل الصالحين وآثاره في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم وذلك في النقاط الآتية:

أولا: الوصية الثالثة اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم وذلك في قوله تعالى﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤١] . بعد إن ذكر الله الامر ببر الوالدين ولا تكون إلا فيما يرضيه تعالى فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مع الالتزام بالإحسان إليهما في الحياة في ختام هذه الآية بقوله تعالى ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي لا تطع والديك المشركين في مجاهدتهما إياك لتشرك بربك واتبع سبيل من أناب إلي والمنيبون إلى الله هم الرسل وأتباع الرسل. ومعنى الإنابة هي الرجوع إلى الله بالتوبة وقال الراغب: الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبة وإخلاص العمل[٤٢].وذكر الرازي في تفسير هذه الآية ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾اتبع سبيل النبي (ﷺ) فإنه مربي عقلك كما أن الوالد مربي جسمك[٤٣].وقال البغوي عند تفسير هذه الآية ﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾هو النبي (ﷺ) وأصحابه رضوان الله عليهم واتباع سبيل من أناب هو الاقتداء بالمنيبين لله أي الراجعين إليه فالمراد (أناب) المقلعون عن الشرك وعن المنهيات والتي منها عقوق الوالدين والشرك[٤٤].﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ هذه الآية معطوفة على الجمل السابقة ودلالة ثم للتراضي الرتبي المفيد للاهتمام بما بعدها أي وعلاوة على ذلك كله ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وضمير الجمع للإنسان والوالدين أي مرجع

الجميع ودلالة تقديم الجار والمجرور للاهتمام بهذا الرجوع أو هو للتخصيص أي لا ينفعكم شيئا مما تأملونه من الأصنام، واستعمال لفظ الأنباء كناية عن إظهار الجزاء على الأعمال لأن الملازمة بين إظهار الشيء وبين العلم به ظاهرة وجملة (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ) وعد ووعيد وفي هذه الضمائر تغليب الخطاب على الغيبية لأنه أعرف[٤٥].والمعنى المطلوب من هذه الآية﴿ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ أي اتباع دين الله الدين الحق وتطبيق أحكامه وشرائعه. ولا ريب أن أسوتنا في اتباع الصالحين رسول الله محمد (ﷺ) وصحابته رضوان الله عليهم ومن اتبعهم بإحسان قال تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٤٦]والحقيقة أن موجبات الآية الكريمة تخبرنا بضرورة اختيار الصحبة الصالحة لما لها من أثر بالغ في سير حياة الانسان، لذلك لا عجب أن تأتي هذه في ثنايا وصايا لقمان ضرورة أنها من درر الحكم وكنوز المعرفة ولا شك أن القرآن الكريم والسنة النبوية اشتملا على التوجيهات والإرشادات في وجوب اختيار الصحبة الصالحة.

ثانيا: الحث على اتباع سبيل الصالحين وصحبتهم وآثار ذلك في بناء المجتمع المسلم.إن اتباع سبيل الصالحين يهذب النفس ويربيها لأن الإنسان مولع بمحاكاة من حوله شديد التأثير بمن يصاحبه لذلك كان في ثنايا وصايا لقمان لابنه أن يتبع سبيل الصالحين المنيبين إلى الله تعالى، وقد حثنا القرآن على إتباع الصالحين قال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [٤٧] وجاءت السنة النبوية تحثنا على اتباع واختيار سبل الصالحين والسير على خطاهم

- عن أبي سعيد إنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي"[٤٨].
- ومن الآثار الطيبة لاتباع سبيل الصالحين وصحبتهم فهي تأتي بثمار طيبة في كل حين فهي تغرس في النفوس الأخلاق الرفيعة، وتعين على تزكية النفس وتهذيبها.
- وتأثير الصاحب في تصحيح المفاهيم الخاطئة عند صاحبه والشاهد أن صحبة النبي (ﷺ) ومجالسته كانت ترقق قلوب الصحابة وتسمو بنفوسهم.
- اتباع سبيل الصالحين يعين على التسابق إلى الخيرات وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) "ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرا من آخ صالح، فإذا رأى احدكم ودا من أخيه فليتمسك به"[٤٩].
- وقال الحسن البصري (رحمه الله): "إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة"[٥٠].

بعد بيان جملة من الآثار الإيجابية العظيمة للصحبة واتباع الصالحين وما لها من أثر عظيم في بناء أفراد المجتمع الإسلامي وصفاء نفوسهم ورسوخ الأخلاق الفاضلة في القلوب جاء التأكيد على اتباع نهجهم واختيار الصاحب الصالح في الكتاب وعلى لسان رسول الله (ﷺ).

المطلب الخامس: مراقبة الله تعالى وأثر ذلك في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم

الله سبحانه وتعالى الخبير والعليم بكل شيء عليم بدبيب النمل في الليلة المظلمة خبير بمبهمات الجن والإنس عليم بما في خاطر الإنسان وما في ذهنه، وعليه أراد لقمان الحكيم لابنه أن يتعامل مع ربه بوضوح دون رياء حتى لا يضل فلا يتعثر معه فيسقط في الرذيلة والخطيئة فالله رقيب وخبير بأفعال العباد. وفي هذا المطلب سنتكلم عن مراقبة الله تعالى وآثارها في بناء القواعد الأخلاقية في المجتمع المسلم وذلك عبر النقاط الآتية:

أولا: الوصية الرابعة مراقبة الله تعالى الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض:وذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾.أراد لقمان أن يفهم ابنه حقيقة علم الله كل شيء وعظيم قدرته على ما يشاء وضرب له مثلا بأصغر المخلوقات التي يعرفها الانسان من الحبوب النباتية والتي يشبه الناس الصغيرات جدا بها وهي حبة الخردل فبين له إنها لو كانت في بطن صخرة شديدة القسوة أو في مكان في السماوات والأرض إن الله عليم بها خبير بكل أحوالها لأن الله لطيف خبير، وبدأ بقوله يا بني بيان ما في هذه العبارة من اهتمام شديد بالنداء بحرف النداء (يا) مع ما في التصغير من تقريب وتحبب[٥١].ويذكر ابن عاشور: "اجتمع في هذه الجملة ثلاث مؤكدات النداء وإن وضمير القصة لعظم خطر ما بعده وهي القدرة المحيطة بجميع الممكنات بقرينة قوله (يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ) "[٥٢]. ومعنى مثقال: مثقال شيء مثله في وزنه ومقداره وقيل زنة ذرة[٥٣]. والخردل: "حب شجر مسخن ملطف جاذب قالع للبلغم ملين هاضم نافع طلاؤه للنقرس والنسا والبرص ودخانه يطرد الحيات وماؤه يسكن وجع الأذن تقطيرا"[٥٤].

فهو نبات من النباتات الموسمية المورقة التي تنمو في المناطق المعتدلة ولهذا النبات جذور على شكل حبوب صغيرة جدا ويضرب مثلا للأشياء الصغيرة وذلك لصغرها الشديد بالنسبة إلى ما يستعمل الناس من حبوب النباتات وحب الخردل يستعمله الناس في التوابل[٥٥].﴿ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ ﴾ أي فتكون هذه الغائبة الخفية على الخلائق داخل صخرة شديدة القساوة والصخرة من أجزاء الأرض فذكر بعدها ﴿ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ وعطف عليه ﴿ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وذلك لقصد تعميم الأمكنة الأرضية. ودلالة استعمال (الإتيان) كناية على التمكن منها وهو أيضا كناية رمزية عن العلم بها؛ لأن الإتيان بأدق الأجسام من أقصى الأمكنة وأعمقها وأصلبها لا يكون إلا عن علم بكونها[٥٦].﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ واللطيف: اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه الذي يجري تدابيره وأعماله وأفعاله برفق تام لا عنف فيه ولا خشونة. أما الخبير فهو اسم من أسماء الله الحسنى فمعنى الخبير في اللغة العليم بالشيء عن تجربة وممارسة مع شهود وحضور مصاحب لكل أجزاء العمل الذي يعمله ظاهرا وباطنا[٥٧].والله سبحانه وتعالى عليم علما كاملا لكل ظواهر الأشياء وبواطنها وكل ما يجري في الكون فهو به خبير. بعد بيان هذه الآية يتبين أن المراد من هذا المثال الحسي وهذا التشبيه الدقيق لعلم الله عز وجل وإحاطته بكل شيء خفي، التأثير في النفوس واستشعار علم الله عز وجل واطلاعه عليه ويعيش حقيقة أن الله عز وجل ناظر إليه مطلع على ما يخفيه في قلبه وما يظهره فلا يعصي الله بعد ذلك.

ثانيا: آثار مراقبة الله في نفوس وأخلاق أفراد المجتمع المسلم إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أمر الدنيا والاخرة ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا يظلم الناس فتيلا ولا يقدر أحد من الخلائق على الفرار من الحساب والجزاء، فهو محيط بكل شيء ورقيب على كل شيء، وبناء على ذلك يجب على الآباء والأمهات والمربين أن يغرسوا في قلوب أبنائهم وتلاميذهم مراقبة الله تعالى لتصبح هذه المراقبة سلوكا ملازما لهم وفي أخلاقهم ومعاملاتهم وفي جميع تصرفاتهم ولتنمو فيهم الأخلاق والمثل الآتية:

- تنمية روح المراقبة الذاتية المرتكزة على صفة العلم المطلق التي تستدعي تربية النفس وضبط تصرفاتها في السر والعلن
- إيجاد ملكة المحاسبة والمبادأة بالنقد الإيجابي للذات وهي درجة متقدمة في الإيمان أقسم الله بالنفس التي تحملها لعظيم شأنها
- بناء الشخصية المتوازنة والمتميزة في إخلاصها وولائها لله تعالى لأن استشعار صفات العلم الإلهي هو الوقاية للإنسان من الزلل والخطأ في توجيهاته وسلوكه.
- يصل الإنسان المسلم إلى مرتبة الإحسان في عبادته وتقربه من الله وكأنه يعبد الله كأنه يراه وبهذا يستقيم عمله وتخلص نيته ويلتزم بأحكام ربه ويبتعد عن معصيته ومخالفته. ومن هذه الموعظة يكون لقمان قد ربى في نفس ولده قيمة المراقبة الذاتية والمحاسبة النابعة من تقوى الله ومراقبته في السر والعلن ويستقيم سلوكه وينال رضا ربه في الدنيا والآخرة[٥٨].

الخاتمة

الحمد لله التي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، فهذه اهم ما توصل اليها البحث من نتائج:

- ان اهتمام الوالدين بتربية ابناءهم تربية صحيحة سليمة من الشرك والانحراف عن الطريق الصحيح يعود اثره على الوالدين ببر ولدهم لهم في كبره وعلى الأبناء أيضا ويكون الجزاء بالمثل.
- تقديم النصح والإرشاد للابناء يعود عليهم بالنفع واحترام الاخرين لهم.
- يجب على الآباء والأمهات والمربين أن يغرسوا في قلوب أبنائهم وتلاميذهم مراقبة الله تعالى لتصبح هذه المراقبة سلوكا ملازما لهم وفي أخلاقهم ومعاملاتهم وفي جميع تصرفاتهم ولتنمو فيهم الأخلاق والمثل العليا.
- خطورة التساهل في مسائل توحيد الله وبيان انه امر عظيم يجب بناءه على قواعد سليمة منذ الصغر.
- إن اتباع سبيل الصالحين يهذب النفس ويربيها لأن الإنسان مولع بمحاكاة من حوله شديد التأثير بمن يصاحبه.
- ان بر الوالدين هو بمثابة الشكر لهما على ما بذلاه من تعب ومشقة في تربية الأولاد ورعايتهما ولين القول لهما والإحسان لهما والدعاء لهما بعد موتهما وطاعتهما في غير معصية.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ت ٩٨٢هـ، دار إحياء التراث العربي –

- أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.
- الاعجاز البياني في ايات وصايا لقمان الحكيم ، مصطفى إبراهيم المشني، الشارقة الامارات العربية المتحدة.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ن تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.
- الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: احمد شاكر واخرون، دار احياء التراث العربي – بيروت ١٩٧٥ م.
- الجامع في أسباب النزول، حسن عبد المنعم شلبي، تحقيق: موفق منصور، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، ١٤٣٢-٢٠١١.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- رياض الانس في بيان أصول تزكية النفس، إبراهيم محمد العلي، تحقيق: احمد الرقب، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦-٢٠٠٥.
- في ظلال القران ، سيد قطب، دار الشروق القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢-٢٠٠١.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥-٢٠٠٤.
- معالم التنزيل في تفسير القران، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت٥١٠هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة – ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٢ هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

المصادر الاجنبية:

- Landmarks of Revelation in the Interpretation of the Qur'an, Abu Muhammad Al-Hussein Bin Masoud Al-Baghawi T. 510 AH, Dar Al-Fikr, Beirut, first edition, 1420 AH.
- A Dictionary of Contemporary Arabic, Dr. Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar (deceased: 1424 AH), with the assistance of a team, The World of Books, first edition, 1429 AH - 2008 AD.
- A dictionary of language standards, Ahmed bin Faris bin Zakariya Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (deceased: 395 AH), investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.
- Keys of the Unseen = The Great Interpretation, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hassan bin Al-Hussein Al-Taymi Al-Razi, nicknamed Fakhr Al-Din Al-Razi, Khatib Al-Ray (deceased: 606 AH), Arab Heritage Revival House - Beirut, the third - 1420 AH.
- Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Abu Al-Qasim Al-Hussein Bin Muhammad, known as Al-Ragheb Al-Isfahani (deceased: 502 AH), investigation: Safwan Adnan Al-Dawudi, Dar Al-Qalam, Al-Dar Al-Shamiya - Damascus, Beirut, first edition - 1412 AH.
- Organizing Pearls in the Compatibility of Verses and Surahs, Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Ribat bin Ali bin Abi Bakr Al-Bikai (deceased: 885 AH), investigated by Abdul Razzaq Ghaleb Al-Mahdi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya - Beirut - 1415 AH - 1995 AD.

الهوامش

[١] المفردات في غريب القران– للراغب الاصفهاني، ١٥٨/١.

[٢] ينظر: لسان العرب –لابن منظور، ٨٥/١٠.

[٣] بدائع التفسير – لابن القيم الجوزية، ١٨٣/٣.

[٤] تهذيب الاخلاق – لابن مسكويه ص٢٦٥.

[٥] ينظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور، ١٣٧/٢١.

[٦] ينظر: محاسن التاويل – للقاسمي، ٢٨/٨.

[٧] ينظر: البيان في عدّ آي القرآن – لابي عمرو الداني، ص٢٠٥.

[٨] التحرير والتنوير – لابن عاشور، ١٣٧/٢١.

[٩] أسباب النزول للواحدي، ٣٦٥/١، والحديث مرسل فيه الكلبي ومقاتل متهمان بالكذب، وعليه تضعف هذه الرواية.

[١٠] المصدر نفسه.

[١١] ينظر: الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري، كتاب التفسير، باب (ولقد اتينا لقمان الحكمة) رقم الحديث ٣٤٢٨.

[١٢] سورة الانعام الاية ٨٢.

[١٣] سورة الاسراء الاية ٨٥ .

[١٤] أسباب النزول – للواحدي، ص ٣٥٨ ، وينظر: الجامع في أسباب النزول – لعبد المنعم شلبي، ص٣٩٩.

[١٥] أسباب النزول – للواحدي، ٣٥٩/١، وينظر: جامع البيان –لابن جرير الطبري، ١٢٥/٢٠.

[١٦] ينظر: في ظلال القران – لسيد قطب ، ٢٧٨٠/٥، ومعارج التفكر ودقائق التدبر – لحنبكة الميداني، ٦٧٨/١١.

[١٧] المفردات – للاصفهاني، ص٢٦٥.

[١٨] لسان العرب – لابن منظور ، ١٧٠/٧ .

[١٩] سورة لقمان الاية ١٢ .

[٢٠] ينظر: نظم الدرر – للبقاعي، ١٣/٦ .

[٢١] ينظر: خصائص التصور الإسلامي – لسيد قطب، ص١٢٢.

[٢٢] سورة هود من الاية ٤٦ .

[٢٣] في ظلال القران – لسيد قطب، ٢٧٨٨/٥ .

[٢٤] ينظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور، ١٥٤/١٠.

[٢٥] ينظر: الجامع لاحكام القران – للقرطبي، ٤٧٢/١٦ ، وروح المعاني – للالوسي، ٨٤/٨.

[٢٦] صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل من شهادة الزور، رقم الحديث (٢٦٥٤)، ١٧٢/٢، واخرجه مسلم في صحيحه كتاب الايمان، باب بيان الكبائر واكبرها، رقم الحديث ٨٧، ٩١/١.

[٢٧] المحرر الوجيز – لابن عطية الاندلسي، ٣٤٨/٤ .

[٢٨] اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، رقم الحديث ١٢٣٧، ٧١/٢، واخرجه مسلم كتاب الايمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، رقم الحديث ٩٤ ، ٩٤/١.

[٢٩] مقاييس اللغة – لابن فارس ، ١١٦/٦ .

[٣٠] ينظر: المفردات – للاصفهاني ، ص ٥٢٥

[٣١] ينظر: الاعجاز البياني – للمشني ، ص١٥ .

[٣٢] روح المعاني – للالوسي، ٨٤/١١ .

[٣٣] اخرجه البخاري في صحيحه كتاب الادب باب من أحق الناس بحسن الصحبة ، رقم ٥٩٧، ٢/٨ ، واخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب بر الوالدين رقم ٢٥٤٨، ١٩٧٤/٤.

[٣٤] الجامع لاحكام القران – للقرطبي، ٤٧٥/١٦ .

[٣٥] ينظر: الاعجاز البياني – للمشني ، ص١٧.

[٣٦] ينظر: الجامع لاحكام القران –للقرطبي، ٤٧٥/١٦ ، والبحر المحيط – لابي حيان، ١٨٢/٧.

[٣٧] سورة مريم الاية ١٤ .

[٣٨] سورة مريم الاية ٣٢ .

[٣٩] ارشاد العقل السليم – لابي السعود ، ٧١/٧ .

[٤٠] البحر المحيط – لابي حيان ، ١٨٢/٧ ، وينظر: الجامع لاحكام القران – للقرطبي، ٤٧٢/١٦.

[٤١] سورة لقمان من الاية ١٥ .

[٤٢] المفردات – للاصفهاني ، ص٥٠٨، وينظر: لسان العرب – لابن منظور، ٧٧٥/١.

[٤٣] ينظر: مفاتيح الغيب – للرازي، ١٢٠/٩ .

[٤٤] ينظر: معالم التنزيل – للبغوي، ٢٣٩/٤.

[٤٥] ينظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور ، ١٦١/٢١.

[٤٦] سورة الأحزاب الاية ٢١ .

[٤٧] سورة الكهف الاية ٢٨ .

[٤٨] اخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء في صحبة المؤمن، رقم ٢٣٩٥، ٤/٦٠٠.

[٤٩] رياض الانس – للعلي ، ص١٩٨.

[٥٠] المصدر نفسه .

[٥١] ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر – للميداني، ١١/٧١٨.

[٥٢] التحرير والتنوير – لابن عاشور، ٢١/١٦٢ .

[٥٣] معجم اللغة العربية المعاصر – لاحمد مختار عبد الحميد، ١/٣٢٢.

[٥٤] القاموس المحيط – للفيروز آبادي ، ص٩٩٢.

[٥٥] ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر– للميداني، ١١/٧٢٠.

[٥٦] ينظر: التحرير والتنوير – لابن عاشور ، ٢١/١٦٣.

[٥٧] ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر – للميداني، ص٧٢٠.

[٥٨] ينظر: الاعجاز البياني – للمشني، ص٢١ .